

العلاقات بين الموصل وحلب في عصر الاتابكية الزنكية

(٥٢١-٥٧٩هـ / ١١٢٧-١١٨٣م)

© حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من المؤلف

- الموضوع: تاريخ
- العنوان: العلاقات بين الموصل وحلب في عصر الاتابكية الزنكية (٥٢١-٥٧٩هـ / ١١٢٧-١١٨٣م)
- التأليف: د. صهيب حازم عبد الرزاق الغضنفر

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

ISBN: 978-9922-9823-4-2

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق الوطنية ببغداد: ١٤٨٢ لسنة ٢٠٢٢

طباعة: مطبعة نركال: العراق / الموصل / المجموعة الثقافية

الناشر: دارنون للطباعة والنشر

تنضيد: مكتب زيد خروفة

القياس: ٢٤×١٧

Email: muhammedyounes51@gmail.com

07709176176



07507070150



صفحتنا على الفيسبوك: منشورات نون



العلاقات بين إطو صل وحلب في عصر الاتابكية الزنكية

(٥٢١-٥٥٧٩ هـ / ١١٢٧-١١٨٣ م)

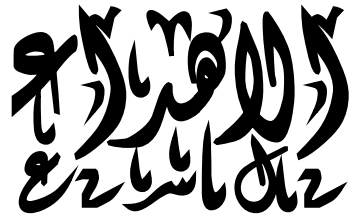
د . صهيب حازم عبد الرزاق الغضنفرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}

سورة آل عمران

الآية ١٠٣



الى...

روحَي والدَي العزيزين رحمهما الله

والى...

ولدي الحبيب وأبنتَي الحبيبتين

والى...

اهلي وأقاربي

والى...

كل طالب علم



أتقدم بجزيل الشكر و الامتنان الى عائلتي الكريمة التي اعانتني
وأزرتني أثناء إعدادي لهذا العمل، واقدم بالغ امتناني لأدارة الجامع
النوري الكبير في الموصل لسماحهم لي بتصوير كافة المعالم الدينية في
الجامع النوري سائلا الله ان يوفق الجميع.

المؤلف

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٩	المقدمة
٣٣	التمهيد: العلاقات بين الموصل وحلب في العصرين السلجوقي والارتقي ٥٧٩_٥٢٢هـ / ١٠٨٦_١١٢٨م
٣٣	أولاً: السلاجقة
٣٤	ثانياً: الحكم السلجوقي لحلب
٣٧	ثالثاً: الحكم السلجوقي للموصل
٥٤	رابعاً: الوحدة بين الموصل وحلب بعد عودة اق سنقر البرسقي لحكم الموصل
٥٧	الفصل الأول: العلاقات السياسية والنظم الادارية
٥٧	المبحث الأول: العلاقات السياسية
٥٧	أولاً: ضم حلب الى الدولة الزنكية
٦٥	ثانياً: العلاقات بين الموصل وحلب (٥٤١_٥٦٩هـ / ١١٤٦_١١٧٤م)
٨٢	ثالثاً: العلاقات بين الموصل وحلب بعد نور الدين محمود زنكي
٨٨	رابعاً: الصراع الزنكي الايوبي على حلب
١٠١	المبحث الثاني: النظم الادارية
١٠١	أولاً: الوزارة
١٠٢	ثانياً: الولاية
١٠٣	ثالثاً: السفارات
١٠٥	رابعاً: القضاء
١١٣	الفصل الثاني: العلاقات العسكرية
١١٣	أولاً: العلاقات العسكرية قبيل العام (٥٤١هـ / ١١٤٦م)
١٢٤	ثانياً: العلاقات العسكرية خلال الاعوام (٥٤١_٥٦٩هـ / ١١٤٦_١١٧٣م)

الصفحة	الموضوع
١٢٥	١_ انقاذ الرها من الصليبيين
١٢٧	٢_ رفع الحصار عن دمشق
١٣١	٣_ تحرير حصن العريمة
١٣٨	٤_ اشتراك الموصل في الدفاع عن حلب والشام ضد التحديات الصليبية
١٤٠	٥_ التعاون بين الموصل وحلب في فتح حارم
١٥٢	ثالثا_ العلاقات العسكرية بين الموصل وحلب بعد نور الدين محمود
١٥٢	١_ معركة قرون حماء
١٥٤	٢_ معركة تل السلطان
١٦١	الفصل الثالث: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية
١٦١	المبحث الأول: العلاقات الاقتصادية
١٦٢	أولاً: الايرادات
١٦٢	١_ الزراعة
١٦٤	٢_ الصناعة
١٦٧	٣_ التجارة
١٦٧	أ_ الطرق التجارية
١٧٣	ب_ الأسواق
١٧٥	٤_ الضرائب المكوس
١٧٦	٥_ الغنائم
١٧٨	٦_ الخزائن الخاصة
١٨٠	ثانياً: النفقات
١٨٠	١_ الجيش وتجهيزاته
١٨٠	٢_ الهبات والمنح
١٨١	٣_ الإقطاعات

الصفحة	الموضوع
١٨٤	٤_بناء المراكز الخدمية
١٨٥	ثالثا: العملات النقدية
١٨٩	المبحث الثاني: العلاقات الاجتماعية
١٨٩	اولا: التماثل الاجتماعي
١٩٠	ثانيا: التركيبتين الدينية والاجتماعية لسكان الموصل وحلب
٢٠١	ثالثا: المصاهرات
٢٠٤	رابعا: العقوبات والاجراءات القانونية
٢٠٨	خامسا: الطبائع الاجتماعية
٢٠٨	١_ المناسبات الدينية
٢١٠	١_ الأحتفال بالمولد النبوي الشريف
٢١٠	ب_ الاحتفال بليلة القدر
٢١٠	٢_ لعبة الكرة والصولجان
٢١١	٣_ تربية الحمام الزاجل
٢١٢	سادسا: الخدمات الاجتماعية وبناء المرافق العامة
٢٢٣	سابعا: الاوقاف
٢٢٧	الفصل الرابع: العلاقات الثقافية والتأثيرات العمرانية المتبادلة
٢٢٧	المبحث الاول: العلاقات الثقافية
٢٣١	اولا: المدارس
٢٣٢	١_ مدرسة الزجّاجين أو الزجاجية
٢٣٣	٢_ المدرسة الغوثية
٢٣٣	٣_ المدرسة الاتابكية العتيقة
٢٣٥	٤_ المدرسة النورية
٢٣٦	٥_ المدرسة الحلاوية
٢٣٧	٦_ المدرسة الشعبية

الصفحة	الموضوع
٢٣٧	٧_ المدرسة العصرية
٢٣٨	٨_ المدرسة النورية في الموصل (مدرسة الجامع النوري)
٢٤٠	٩_ المدرسة المقدمة
٢٤٣	ثانيا: الرحلات العلمية
٢٤٤	١_ العلماء الذين ذهبوا من الموصل الى حلب
٢٥٧	٢_ العلماء القادمون من حلب الى الموصل
٢٦١	٣_ العلماء الذين زاروا الموصل وحلب
٢٧١	٤_ الذين افادوا من علماء الموصل وحلب
٢٧٥	ثالثا: النشاط الادبي
٢٧٥	١_ الشعر
٢٨٣	٢_ النثر
٢٨٥	المبحث الثاني: التأثيرات العمرانية المتبادلة بين الموصل وحلب
٣٠٧	الخاتمة
٣١٠-٣٠٩	الخرائط
٣٣٩-٣١١	الملاحق
٣٤١	قائمة المصادر والمراجع

قائمة المختصرات

ت	توفي
س	سنة
ع	عدد
د.ت	دون تاريخ
بلا	بلا ناشر
ق	قسم
م	مجلد
و.م	عام وفاته مجهول
[]	يوضع بينهما اضافة مهمة من الباحث الى نص، ولإكمال نقص

التقديم

يسعدني تقديم هذا الكتاب الموسوم _العلاقات بين الموصل وحلب في عصر الاتابكية الزنكية (٥٢١_٥٧٩هـ/١١٢٧_١١٨٣م)_ لمؤلفه المؤرخ المتميز الدكتور صهيب حازم عبد الرزاق الغضنفرى، وهو بالفعل جدير بكلِّ تقدير نظراً للجهد العلمي البارز المبذول فيه بتفانٍ وإخلاصٍ علمي مشهود معبرٌ عن كفاءة المؤرخين العراقيين الحاليين. احتوى الكتاب على تمهيد تناول العلاقات بين الموصل وحلب في العصرين السلجوقي والأرتقي، ثم تناول الفصل الأول العلاقات السياسية والنظم الإدارية، وجاء الفصل الثاني بعنوان العلاقات العسكرية، واختص الفصل الثالث بالعلاقات الاقتصادية والاجتماعية، بينما تناول الفصل الرابع العلاقات الثقافية والتأثيرات العمرانية المتبادلة، كما احتوى على الخاتمة، والخرائط، والملاحق، وقائمة المصادر والمراجع.

امتازت الدراسة بقدرة مؤلفها على التنقيب بين المصادر المعاصرة والمتأخرة لإبراز العلاقات المتنوعة بين الموصل حاضرة شمال العراق، وحلب حاضرة شمال بلاد الشام، كما تعامل الدكتور صهيب حازم على قاعدة ببلوغرافية ثرية دلّت على متابعته لما يستجد من إصدارات في مجال التخصص واكّد على حيويته العلمية.

لقد زود المؤرخ الفاضل دراسته بالعديد من الملاحق المهمة التي دعمت عمله العلمي، وكان لذلك كله أثره في اكتمال جهده الذي دلّ على تمكنه من أدوات البحث العلمي في حقل دراسات عصر الحروب الصليبية.

ختاماً أتمنى للزميل العزيز المؤرخ صهيب حازم الغضنفرى كل التوفيق في حياته العلمية بوصفه أحد أهم المؤرخين العراقيين الحاليين.

الاستاذ الدكتور

محمد مؤنس عوض

استاذ الحروب الصليبية - جامعة الشارقة

٢٠٢٢ / ٣ / ٤

مقدمة

تعد دراسة المدن من الدراسات المهمة في التاريخ الاسلامي، فقد اهتم المسلمون بالمدن منذ الفتح العربي الاسلامي، من خلال تمصير المدن، وجعلها مقرات لانطلاق الحملات العسكرية، ومن ثم العمل على توطيد استقرار المسلمين، فتبع ذلك قيام الحواضر الاسلامية. وقد كانت المدينة هي الوحدة العمرانية التي بدأ بها المسلمون حضارتهم، لذلك فقد قامت دراسات عديدة عنيت بكبريات المدن العربية الاسلامية، اذ اهتمت هذه الدراسات بتاريخ فتح او بناء او تمصير تلك المدن. وتكمن اهمية دراسة المدن فضلاً عما تقدم في توضيح دور المدن في التاريخ الاسلامي، سواء من الناحية الدينية، او العسكرية، أو السياسية، او الاقتصادية، وما شهدته مدن الاسلام من احداث تاريخية في حقبة معينة، اعطتها اهمية خاصة دفعت الباحثين للتعمق في تاريخها، ودراستها على النحو المفصل، وقد كان لمعظم المدن الاسلامية نصيب من تلك الدراسات وحسب معطيات خاصة، لهذا الاعتبار جاء اختيارنا لموضوع العلاقات بين الموصل وحلب في عصر الاتابكية الزنكية خلال الاعوام (٥٢١-٥٧٩هـ/١١٢٧-١١٨٣م)، اذ ان هذه الحقبة بدأت بقيام الاتابكية الزنكية في العام ٥٢١هـ/١١٢٧م، وانتهت بخروج حلب عن سيطرة الزنكيين، وبدأ سيطرة الايوبيين عليها في العام ٥٧٩هـ/١١٨٣م، اي ان العلاقات بين المدينتين كانت خلال حكمهما من قبل الزنكيين. وتكمن اهمية هذا الموضوع انه تناول مدينتين عربيتين كبيرتين، تحت ادارة دولة فتية هدفها الدفاع عن الاسلام، وحماية المسلمين ومدنهم من اخطار شرسة، اهمها الضعف والانقسام، ومن ثم الخطر الصليبي الذي وجد من هذا الضعف فرصة ثمينة للانقضاض على الارض العربية بدأً بالشام ومصر.

وقد وجدنا من ادارة دولة قوية كالدولة الزنكية لمدينتين مهمتين كالموصل وحلب ونجاحها في جعلهما عاصمتين لها، ونجاح التعاون بين المدينتين في اسناد الدولة الزنكية، ورفدها بقوة مكنتها من الوقوف بوجه الغزو الصليبي بجدارة من جهة، وقيام

علاقات مهمة بينهما من جوانبٍ مختلفة في ظل إدارة تلك الدولة من جهة أخرى، موضوعاً مهماً لدراستنا، إذ قامت علاقات واسعة بين الموصل وحلب وفي مجالاتٍ متعددة، منها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فضلاً عن العلاقات السياسية والعسكرية. وإن قيام الدولة الزنكية بما حققته من انجازات في عصر شهدت فيه الخلافة العباسية مرحلة ضعف، كان فيه الزنكيون مصدر قوة للخلافة العباسية بعد ما شهدته من تهديدات، كل هذا جعل الموضوع جديراً باهتمامنا ورغبتنا في الكتابة فيه.

ومن الجدير بالذكر ان هناك مؤلفاتٌ عدة قد تناولت مواضيع قريبة من موضوعنا، الا انها لم تتناوله بالتحديد الذي حرصنا عليه، اذ ان اكثر تلك المؤلفات كانت قد تناولت الموصل وحلب في حقبة زمنية واسعة وشاملة، كالعصر السلجوقي بأكمله، أو في عصر اسلامي آخر كالعصر الايوبي، ولم تكن تلك الدراسات تركز على (العلاقات) تحديداً ومنها ما تناوله من الناحية العسكرية فقط وخلال حقبة زمنية اوسع، الا اننا حرصنا على تناول العلاقات في العصر الزنكي، ومن اوجه عديدة، وقد تم التركيز على المعلومات التي افتقدناها في المواضيع المذكورة، وفي الوقت نفسه، تعمداً الى عدم التطرق الى معلومات عامة خاصة بالاتابكية الزنكية ذكرتها معظم الدراسات التي تناولت من الاتابكية الزنكية وقيامها بشكل عام وحتى نهايتها في العام ٦٣٠هـ/١٢٣٣م موضوعاً لها، كما اننا لم نتعمق في التعريف المفصل للحملات الصليبية او ما يخصها او الشخصيات الصليبية، لانها قد بُحثت من قبل في دراسات اختصت بالحروب الصليبية.

وقد واجهتنا صعوبات كبيرة في الحصول على معلومات خاصة بالعلاقات لا سيما ما يخص العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، فقد كانت المعلومات عن الموصل وحلب في الحقبة التي تناولناها قليلة جداً، ربما يعود السبب في ذلك الى ان المصادر الاولى، لم تكن تهتم بهذه الجوانب، باستثناء المعلومات الخاصة بالعلاقات العسكرية التي اهتمت بها المصادر الاولى واكثر الدراسات الحديثة، فالمدنيتين شهدتا الوحدة والحكم المشترك ابان الحكم الزنكي لهما، ولا يمكن ان تكون العلاقات بينهما في هذا المجال محدودة.

اما فيما يخص العلاقات الاخرى والتي ذكرناها فقد كانت اكثرها في العصر الايوبي، الا القليل وقد بذلنا جهدا كبيرا في الحصول على المعلومات التاريخية، اذ اننا اردنا توضيح العلاقات بين المدينتين ومن جوانب تأكد على الاتصال الحضاري بينهما.

وفضلا عما تقدم، فقد اردنا توضيح الاحداث التاريخية الخاصة بمدينة حلب، وتمييزها عن بقية مدن الشام، اذ اننا ومن خلال مراجعة المعلومات التاريخية وجدنا ان الكثير من المصادر الاولية والمراجع الحديثة كانت تشير الى حلب دون تحديدها، اي انها كانت تنسب الحدث التاريخي، أو المعلومة التاريخية الخاصة بحلب الى (الشام) بشكل عام، علما ان الخبر التاريخي كان يختص بحلب، ولكن طبيعة النص كانت ترشدنا الى ان الخبر التاريخي خاص بحلب، مما يدفعنا الى تحري الخبر من المصادر الخاصة بتاريخ حلب، او المصادر التاريخية التي ذكرت اخبار الاتابكية الزنكية للتأكد منه. بعكس الحال مع مدينة الموصل، فقد كانت اخبار الموصل منسوبة الى الموصل بشكل محدد، ولم تُدرج مع مدن اخرى كبغداد على سبيل المثال.

الا اننا تمكنا من الافادة من بعض المعلومات التي تناولتها الدراسات المذكورة، وكل حسب موضوعه، وهذا ما سنوضحه في ذكرنا لاهم المصادر الاولية والمراجع الثانوية التي اعتمدناها في الكتاب. وقد احتوى الكتاب على تمهيد، واربع فصول، وخاتمة، تناول التمهيد توضيح للعلاقات بين مدينتي الموصل وحلب قبل قيام الاتابكية الزنكية، وتكوين دعائم دولتها، اذ تناول العلاقات بين المدينتين منذ الحكم السلجوقي لهما، وما حدث خلال تلك الحقبة من تغيرات سياسية، أو تغير في الامراء بين المدينتين في ظل الدولة السلجوقية، كما تناول طبيعة العلاقات بين المدينتين في مرحلة الجهاد الاسلامي ضد الغزو الصليبي على لأرض العربية، حتى قيام الدولة الزنكية في الموصل.

وقد تناول الفصل الاول مبحثين اختص الاول بالعلاقات السياسية بين المدينتين وماشهدته من تغيرات سياسية تبعت تغير الامراء الزنكيين خلال الحقبة التي تناولها الكتاب، بينما اختص الثاني بالنظم الادارية المشتركة بين المدينتين، اما الفصل الثاني فقد تناول العلاقات العسكرية، وما شهدته من تعاون بين المدينتين في الجهاد ضد

الصليبيين، وما حققه ذلك التعاون من تحرير لمدن وحماية أخرى من الخطر الصليبي، وما حققه من توسيع لرقعة النفوذ الزنكي، وغيرها من الأحداث.

بينما تضمن الفصل الثالث مبحثين:

تناول الأول: العلاقات الاقتصادية بين الموصل وحلب، وأهم أوجهها، من الزراعة والصناعة والتجارة، وعوامل اقتصادية أخرى كان لها الأثر في تعزيز الاقتصاد في الدولة الزنكية.

وتناول الثاني العلاقات الاجتماعية: وقد شمل التركيبة الاجتماعية للمدينتين، وتاريخها في العصر الزنكي، وأهم أوجه التشابه في مجتمعي المدينتين، والخدمات الاجتماعية فيهما.

فيما تضمن الفصل الرابع مبحثين:

تناول الأول: العلاقات الثقافية بين المدينتين: إذ بحث في الرحلات العلمية، وطلب العلم عن طريق تنقل الشيوخ وطلاب العلم والفقهاء والمحدثين بين المدينتين، ودورهم في النهوض بالموصل وحلب إلى مكانة عالية في مجال القراءة والحديث والفقهاء.

وتناول الثاني: التأثيرات العمرانية المتبادلة بين المدينتين، من خلال مظاهر البناء والعمران التي شهدت كل منهما في العصر الزنكي، إذ كانت المظاهر العمرانية من أهم سمات العصر الزنكي.

وأخيراً نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يكون هذا العمل مساهمة متواضعة ألفت الضوء على تاريخ هاتين المدينتين ضمن عصر الدولة الزنكية، مما يعزز الدراسات التاريخية للمدن الإسلامية، والله (سبحانه وتعالى) نسأله العون والتوفيق، أنه نعم المولى ونعم النصير.

نظرة في المصادر والمراجع المعتمدة:

ومن اهم المصادر: القرآن الكريم: وقد رجعنا اليه لنستشهد بآياته الكريمة ووضعتها في مكانها المناسب، حين الحاجة الى ذلك لإضفاء الاهمية على الحدث التاريخي، وتعزيزه، والثناء عليه. اما المصادر المعتمدة الاخرى:

اولاً: كتب التاريخ المحلي، وهي:

١_ ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي الدمشقي (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م): فقد كان ابن القلانسي من المعاصرين للزنكيين، وقيام الاتابكية الزنكية وكتابه ذيل تاريخ دمشق من الكتب التي اتبعت المنهج الحولي، وقد افدنا منه في الحصول على العلاقات السياسية و العسكرية، بين الموصل وحلب، اذ ان الكتاب ركّز على ذكر هذه العلاقات، الا ان ما حصلنا عليه من هذا الكتاب يتوقف عند العام ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م، وهو العام الذي اقام فيه الامير نور الدين محمود امير حلب وليمة لأخيه قطب الدين مودود أمير الموصل، ومعه الجند والمقدمين والولاء الذين جاءوا من الموصل لجهاد الروم والصليبيين، فهو اخر النصوص المعتمدة لدينا من هذا الكتاب، اذ ان وفاة ابن القلانسي كانت في العام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م.

٢_ التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، لعز الدين ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م):

وهو من الكتب التاريخية الخاصة بالاتابكية الزنكية في الموصل، والتي اعتمدت المنهج الحولي، وقد أُلّف الكتاب عز الدين ابن الاثير، واهداه الى الاتابك امير الموصل القاهرة بن نور الدين بن عز الدين بن قطب الدين بن عماد الدين زنكي مؤسس الاتابكية الزنكية في الموصل. فقد كان والد ابن الاثير معتمدا لدى عماد الدين زنكي، ثم بعد ذلك اصبح مستشارا لدى قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي، وكان يشير اليه في امور هامة، وتكريمه، فربما كان لذلك اثره او دوره في اعتماد الزنكيين على ابن الاثير في تأليفه كتابا عن دولتهم، ومن المؤكد ان يكون والد ابن الاثير هو احد مصادر ابن الاثير في كتابه الباهر، وهذا ما اكده فعلا في مقدمة كتابه. ومن المؤكد ان للسنوات التي عاشها ابن الاثير ابان حكم الزنكيين، دور في التعايش مع الاحداث التاريخية مما كان له دور كبير في الحصول على اخبار تضمنها كتابه، اذ انه ولد في العام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، اي

ان عمره حينما انتهت الادارة الزنكية لحلب في العام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣ م، كان اربعة عاما، وهوسن الشباب، وهذا له دور كبير في الحصول على معلومات وفيرة عن تلك الحقبة واحداثها، فضلا عن اعتماده على الكُتّاب الذين سبقوه، وعاصروه وكتبوا عن الدولة الزنكية ولكن بشكل عام، كابن عساكر الذي كتب عن تاريخ دمشق و عماد الدين الاصفهاني الذي كتب عن دولة ال سلجوق، ومراجعته لبعض نصوصهم، واعتماده على الرسائل بين الزنكيين وحلفائهم.

وقد افدنا من هذا الكتاب فضلا عن اخبار قيام الاتابكية الزنكية في الموصل وضمها لحلب في الحصول على اخبار العلاقات السياسية والعسكرية بين الموصل وحلب، اذ قام ابن الاثير بتغطية شبه وافية للمعارك التي تعاونت فيها الموصل مع حلب ضد الصليبيين، الا انه لم يذكر في كتابه توجه القوات الموصلية الى حلب لمساندتها في جهادها ضد القوات الصليبية المتحالفة في العام ٥٥٤هـ/ ١١٥٩ م، وهو التعاون العسكري الاول بين المدينتين في عهد قطب الدين امير الموصل، في حين كان هذا الخبر موجودا في كتب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، ولم يذكر ابن الاثير الصراع الزنكي الايوبي بعد وفاة الامير نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي في الباهر. وقد افادنا هذا الكتاب من خلال بعض النصوص في الحصول على علاقات ادارية و اقتصادية واجتماعية. ومن الملاحظ انه كان يذكر تاريخ الحدث بالشهر واليوم فضلا عن العام، مما يؤكد دقة معلوماته وثقته بها.

٣_ الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، لشهاب الدين عبد الرحمن المعروف بابي شامة (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧ م):

اختص الكتاب بمتابعة اخبار الامير نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، ومن ثم اخبار دولة صلاح الدين الايوبي، متبعا المنهج الحولي في ذكر الاخبار التاريخية، وهو من المصادر المهمة التي افادتنا في الحصول على اخبار نور الدين محمود واعماله، والعلاقات بين الموصل وحلب في عهده.

٤_ الكواكب الدرية في السيرة النورية، لبدر الدين ابو الفضل محمد ابن قاضي شهبة (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م):

وهو من الكتب التي تناولت سيرة الامير نور الدين محمود، وقد افادنا في الاطلاع على سيرة نور الدين وسجايه من خلال نصوص ابن قاضي شهبة، اذ ان الكتاب جهد في وصف اخلاق الامير نور الدين فضلا عن اعماله في كل من الموصل وحلب.

ثانياً: الكتب المختصة بتاريخ حلب، ومنها:

١_ زبدة الحلب في تاريخ حلب، لابن العديم (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م):

وهو من الكتب المختصة بتاريخ حلب، والتي اعتمدت المنهج الحولي في ذكر الاحداث التاريخية، وقد افادنا في ذكر الاسر الحاكمة في حلب قبل الزنكيين ايضاً، واخبار الاتابكية الزنكية في حلب وفي الموصل ايضاً، وكانت نصوصه غنية بما يشير الى الأحداث التي تربط بين الزنكيين في الموصل وحلب، الا ان اهميته تكمن في كونه احد مصادر حلب التاريخية، وقد كان له دور في ذكر اعمال الزنكيين في حلب، ومن مزاياه ان الاحداث كانت مرتبطة بتواريخها، لانه كان يذكرها حسب الدول الحاكمة في حلب، ثم تقسم الى عهود الحكام في تلك الدول، وحسب التسلسل التاريخي، مما كان له الاثر في دقة الخبر وتوضيح تسلسل الاحداث.

٢_ بغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم:

وهو من كتب التراجم، وقد اعتمد تسلسل الحروف في ذكر تراجم الحلبيين، والاشخاص الذين قدموا الى حلب، الا ان مما يؤخذ عليه عدم ذكره لسنوات الاحداث في اغلب نصوصه، عكس كتاب زبدة الحلب تماماً، مما كان يدعونا الى البحث عن تواريخ الاحداث في كتب التراجم الاخرى. وقد افدنا منه في معرفة الحلبيين الذين قدموا الى من حلب إلى الموصل، أو العكس، فضلاً عن الشخصيات من غير الموصل وحلب والتي زارت المدينتين، والعلاقات الثقافية، بين المدينتين، وشي من العلاقات التجارية.

٣- العلاقات الخطيرة في ذكرامراء الشام والجزيرة، لعزالدين بن شداد (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٦م):

فقد اختص القسم الاول من الجزء الاول منه بخطط حلب، ومرافقها الخدمية من مدارس ومساجد واربطة وحمامات، كما تضمنت نصوصه الخاصة بالخطط، ذكر اعلام حلب، ومن تنقل منهم بين الموصل وحلب، وقد قُسمت فيه الخطط الى مجاميع منتظمة على شكل ابواب، كل باب اختص بمعلم من معالم حلب، منها للمساجد، ومنها للمدارس، ومنها للقلعة، وغيرها... وقد تضمنت نصوصه اسهامات الموصليين في بناء معالم العمران في حلب، ومن ذهب منهم الى حلب، والحليين القادمين الى الموصل.

٤- كنوز الذهب في تاريخ حلب، لسبط ابن العجمي (ت ٨٨٤هـ/١٤٧٩م):

وقد تناول هذا الكتاب الشخصيات الحلبية، وخطط حلب، ومظاهرها العمرانية، وقد افدنا منه في العلاقات الثقافية بين الموصل وحلب، اذ كان قد ذكر الادباء والمحدثين المتنقلين بين الموصل وحلب، ومشاهيرهم، مع نصوص تؤكد ذلك، فضلا عن مظاهر العمران في حلب.

٥- الدر المنخب في تاريخ مملكة حلب، لابي الفضل محمد بن الشحنة قاضي القضاة (ت ٨٩٠هـ/١٤٨٥م):

وهو من الكتب التي تناولت تاريخ حلب ووصفها، كقلعتها وقصور ملوكها، واحيائها، واغلب مظاهر عمرائها، وقد اعتمد في اخباره على من سبقه من مؤرخي حلب، ومن اسلوبه انه كان عند ذكره لنواحي حلب، كان يذكر الناحية الحلبية، وما حدث فيها حتى استيلاء المغول (التتار) عليها، وقد كان حسام الدين بن ختلو الجد الاعلى لمؤلف الكتاب، وكان شخصية بارزة في شحنة حلب في اواخر دولة نور الدين محمود، ولا شك ان ذلك قد سهل عليه الحصول على الكثير من اخبارها، وقد افادنا الكتاب في معرفة خطط حلب ومن كان له دور في انشائها، ودور الزنكيين في اعمارها وتحديدات في عهدي عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود، والعلاقات الثقافية بين المدينتين.

٦_ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، لمحمد راغب بن محمود بن هاشم
الطباخ الحلبي (ت ١١٤٠هـ/١٧٢٧م):

اهتم هذا الكتاب بتراجم اعلام حلب من رجال الحكم والقضاء ومختلف الميادين السياسية والعلمية والادبية والدينية والاجتماعية ولعصور متعددة من التاريخ الاسلامي والحديث، وقد تناول الجزء الاول والجزء الثاني من هذا الكتاب اخباراً عن الزنكيين، وقد افادنا في تراجم الاعلام الذين تناولهم الموضوع، مع الاحداث العامة في حلب، سيما اخبار الامير نور الدين محمود ونشاطاته العسكرية، لذلك فقد افادنا في تعزيز المعلومات التي حصلنا عليها مما سبقه من المصادر.

٧_ نهر الذهب في تاريخ حلب، لكامل بن مصطفى الغزي (ت ١٢٧١هـ/١٨٥٤م):

اهتم بدراسة الاوضاع الاجتماعية لحلب والاقوام والطوائف والاديان التي سكنتها منذ بدء التاريخ، واهم مظاهرها في ذلك العصر. فقد تحدث في الجزأين الاول والثاني عن خطط حلب ومن ساهم بأعمارها، لذلك لم يلتزم بالمنهج الحولي، اما في الجزء الثالث فقد روى حوادثها التاريخية، لذلك فقد التزم بالمنهج الحولي. وقد افادنا هذا المرجع في معرفة خطط حلب، ونشاط ودور الزنكيين فيها، والتشابه العمراني بين الموصل وحلب، فضلاً عن ذكره لأشخاص كان لهم دور ايجابي في كل من المدينتين.

ثالثاً: الكتب المختصة بتاريخ الموصل ومنها:

١_ منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء، لمحمد امين بن خير
الله الخطيب العمري (ت ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م):

تناول الكتاب تاريخ الموصل منذ الفتح الاسلامي لها، ذاكرا القبائل التي سكنتها، مع ذكر من حكمها وتعاقب الدول فيها بشكل وافٍ، وقد اضاف الى ذلك اهم الاحداث التاريخية في مدن اخرى كبغداد ودمشق وحلب حسبما يقتضيه الخبر، والتزم المؤلف المنهج الحولي فيه، وقد افادنا منه نصوصه الخاصة بالدولة الزنكية، والتركيز على الاعمال التي قام بها الزنكيون في المدينة، مع توثيق اهم الاخبار التي تتناول العلاقات بين الموصل وحلب.

٢_ منية الادباء في تاريخ الموصل الحذباء، لياسين بن خيرالله الخطيب العمري
(ت١٢٣٦هـ/١٨٢١م):

تناول تاريخ الموصل منذ الفتح الاسلامي، ولكن بشكل مختصر جدا، ومختلف
عن كتاب منهل الاولياء، الا انه افرد فصلا خاصا بالمواقع والمراقد الموجودة في المدينة،
وحسب الحروف، وقد افادنا في المعلومات الخاصة بالمساجد التي بناها، او اعاد بناءها
الزنكيون.

رابعاً: كتب التاريخ الإسلامي العام، وهي:

١_ الكامل في التاريخ، لعز الدين بن الاثير:

وهو من كتب التاريخ الاسلامي العام التي تناولت التاريخ منذ بدء الخليقة وحتى
نهاية العصر الاتابكي في الموصل، والعصر الايوبي في حلب، اذ تزامن هذان العصران مع
وفاة المؤرخ ابن الاثير في العام ٦٣٠هـ/١٢٣٣م، اي ان ابن الاثير قام بتكملة اخبار
الاتابكية الزنكية، بعد ان توقف في كتاب الباهر عند عهد القاهرة بن نور الدين بن عز
الدين كما سبق ذكره، وقد اتبع المؤرخ المنهج الحولي في ذكر الاحداث، ومما برز في منهج
ابن الاثير في الكامل انه لم يكن متعاطفا مع الزنكيين كما هو الحال مع كتاب الباهر،
وقد اتضح ذلك من عدم ذكره لكلمات التعظيم للزنكيين في كتاب الكامل كما كان عليه
في الباهر، ومن ذلك مصطلحات (الشهيد)، و(الملك السعيد)، وطبيعة روايته للخبر في
نصوصه، وقد افادنا الكتاب في التحقق من تواريخ الاحداث.

٢_ البداية والنهاية، لابن كثير(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

وهو من الكتب التي اتبعت المنهج الحولي في ذكر الاحداث ايضاً، الا انه كان
مختصراً في سرده للأحداث التاريخية خلال العام الواحد، وقد افادنا في التحقق من
تواريخ الاحداث.

٣_ شذرات الذهب في اخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):

وهو من كتب التاريخ الاسلامي العام التي اتبعت المنهج الحولي في ذكر الاحداث،
وقد افادنا في التحقق من تواريخ الاحداث ولكن بنطاق اقل من المصدرين السابقين.

خامساً: كتب التراجم، ومنها:

- ١- التكملة لوفيات النقلة، لزي الدين ابو محمد ابن المنذري (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).
- ٢- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان: لآبو العباس شمس الدين بن خلكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).

٣- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، لمحمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

٤- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م): وقد افادتنا هذه المصادر في الحصول على تراجم الشخصيات المذكورة في الموضوع، والتحقق من تواريخ وفياتها.

سادساً: كتب الجغرافية والبلدان، وهي:

- ١- معجم البلدان، لشهاب الدين الحموي المعروف بياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م).

٢- كتاب مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، لصفي الدين البغدادي (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م): وقد افادنا هذين المصدرين في التعرف على مواقع المدن والكور والحصون المذكورة في الموضوع.

سابعاً: كتب الرحلات:

- ١- رحلة ابن جبير، للرحالة ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكناني (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م):

تكمن اهمية رحلة ابن جبير في انها اعطتنا وصفا للموصل وحلب في سنوات قريبة من موضوع الكتاب وهي سنوات العصر الزنكي في المدينتين، اذ ان ابن جبير وصل الى الموصل وحلب في العام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، اي ان ما رآه ابن جبير فيهما هو من نشاط الزنكيين، أمراء او نواب للقلاع، الا ان ما يؤخذ عليه هو ذكره للمواقع دون ذكر من اقامها وتحديد العام الذي بنيت فيه، على سبيل المثال الخانات او المدارس، مما يدعو الى الاستعانة بمصدر اخر، واحيانا كان يذكر كلمة اتابك دون تحديد من هو الاتابك،

اذ ان اسماء الزنكيين مكررة، ولكن ذلك لم يمنع من انه اعطانا صورة واضحة عن التشابه في الاسواق والعمران.

٢_ رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظائر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، للرحالة محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م):

وقد افادنا هذا المصدر من خلال وصف الرحالة ابن بطوطة لبعض مظاهر العمران في الموصل وحلب، والتي شاهدها من خلال رحلته.
ثامناً: كتب الادب، وهي:

١- خريدة القصر وجريدة العصر، لعماد الدين الاصفهاني (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م):

وقد افادنا هذا الكتاب في الرجوع الى تراجم الشعراء، واشعارهم.

٢- معجم الادباء، لياقوت الحموي: وقد افادنا في الرجوع الى تراجم بعض الادباء من الموصلين، أو الحلبيين، أو الذين ذكروا في النصوص.

تاسعاً: المراجع الحديثة:

فضلاً عما تقدم فقد اعتمدنا في الكتاب على المراجع والدراسات الحديثة، كونها ذات علاقة بموضوع الكتاب، واهمها:

١_ تاريخ الموصل، لسعيد الديوه جي:

وقد اختص هذا الكتاب بتاريخ الموصل منذ تاريخ العرب قبل الاسلام، وحتى نهاية العصر الاتاكي، وقد افادنا بمعلومات قيمة عن العلاقات الاجتماعية بين الموصل وحلب، والتأثيرات العمرانية المتبادلة بين المدينتين.

٢_ الموصل في العهد الاتاكي، لسعيد الديوه جي:

اختص هذا الكتاب بتاريخ الموصل في العصر الاتاكي حصراً، وقد شمل النواحي الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والعمرانية للمدينة، بشكل دقيق. لذلك فقد افادنا بمعلومات معززة لما وجدناه في المصادر الاولى، مع توضيحات من قبل مؤلف الكتاب، لاسيما في الجانبين الاجتماعي، والعمراني.

٣_ عماد الدين زنكي، لعماد الدين خليل:

وقد تناول هذا الكتاب سيرة عماد الدين زنكي مؤسس الاتابكية الزنكية، وتعريف الاتابكية، واعمال عماد الدين زنكي السياسية والعسكرية ووصف لشخصيته، كما تكلم عن نواب القلاع في عهده، وقد كان هذا الكتاب بالنسبة لنا مرجعاً أساساً لكونه قد تناول شخصية مهمة وأساسية في موضوعنا، فكان شاملاً لأهم أعمال الاتابك عماد الدين والخطوات الأولى في مسيرته بشكل واسع.

٤_ حوليات الموصل، لبسام ادريس الجلي:

وهو كتاب يتناول الاحداث التاريخية للموصل ومدن اخرى حسب النظام الحولي، ولكن بشكل مختصر، وقد افادنا في الحصول على اخبار الدولة الزنكية، وحسب الاعوام، والعلاقات الاقتصادية، وتحديد العملات النقدية.

٥_ موسوعة اعلام الموصل، لبسام الجلي:

وهي سجل بأسماء وتراجم الموصلين، ومن قدم الى الموصل في التاريخ الاسلامي والحديث والمعاصر، وقد افادنا في الحصول على تراجم الشخصيات ضمن موضوع الكتاب.

٦_ خطط الشام، لمحمد كرد علي:

تناول اخبار الزنكيين بشكل سردي، وتناول الاحداث السياسية، والعسكرية وفق المنهج الحولي، وقد افادنا في الحصول على اخبار الدولة الزنكية.

تمهيد

العلاقات بين الموصل وحلب في العصرين السلجوقي والارتقي

٤٧٩_٥٢٢ هـ / ١٠٨٦_١١٢٨ م

أولاً: السلاجقة.

هم اقوام تعود اصولهم الى القبائل التركية التي عرفها العرب بالغز، وسموا بالسلاجقة نسبة الى احد اجدادهم وهو سلجوق بن دقماق، وقد عرف سلجوق بحسن الرأي والتدبير^(١).

دخل السلاجقة الى بغداد في يوم الاثنين المصادف ٢٥ رمضان ٤٤٧ هـ / ١٧ كانون الاول ١٠٥٥ م، ففي عهد الخليفة العباسي القائم بامر الله (٤٢٢_٤٦٧ هـ / ١٠٣٢_١٠٧٧ م)^(٢). والسلطان السلجوقي الاول طغرل بك^(٣) (٤٢٩_٤٥٥ هـ / ١٠٣٧_١٠٦٣ م)، فجاءه قريش بن بدران العقيلي، امير الموصل ليبايعه على الولاة والطاعة^(٤) حفاظا على سلطته في الموصل التي كان يحكمها العقيليون^(٥) منذ

(١) عماد الدين محمد بن محمد الاصفهاني، تاريخ دولة ال سلجوق، تقديم: يحيى مراد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م)، ص ٧.

(٢) ابو جعفر عبد الله بن الخليفة القادر بالله، والقائم هو الخليفة العباسي السادس والعشرين، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، (بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م)، ص ٣٢٩.

(٣) طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجوق جد السلاجقة، وهو اول سلاطين السلاجقة في العراق عند بدء السيطرة السلجوقية عليه، الاصفهاني، تاريخ دولة ال سلجوق، ص ٧، ١٩.

(٤) عز الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تصحيح: محمد يوسف الدقاق، (بيروت، الدار العلمية للكتب، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م)، ٨: ٣٢٣.

(٥) بنو عقيل: وهم بطن من بطون عامر بن صعصعة ويرجعون الى العدنانية، وكانوا يسكنون البحرين قبل الاسلام، (الى الشرق من مكة المكرمة)، واعظم قبائلهم، بنو عقيل وبنو تغلب وبنو سليم، ثم ساروا الى العراق وملكوا الكوفة والموصل، ابو العباس احمد القلقشندي، نهاية الارب في معرفة انساب العرب، تحقيق: ابراهيم الابياري، (بيروت، دار الكتب، ١٩٨٠ م، ط ٣)، ص ٣٦٦.

العام ٣٨٦هـ/٩٩٦م^(١) إلا أن السيطرة السلجوقية لم تشمل مدينتي الموصل وحلب في هذه العام، فقد بقيت حلب تحت السيطرة العقيلية حتى العام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، إذ دخلت في هذا العام في حيز السيطرة السلجوقية، في عهد الخليفة العباسي المقتدي بالله^(٢) (٤٦٧-٤٨٧هـ/١٠٧٧-١٠٩٧م) والسلطان السلجوقي ملك شاه (٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م)^(٣).

ثانياً: الحكم السلجوقي لحلب.

تعد حلب المدينة الثانية في الشام بعد دمشق، وقد تناولناها كعنصر اساسي في الكتاب لأنها المدينة المناظرة لمدينة الموصل في الاصلالة والحضارة والثقافة، والجهاد ضد الغزو الصليبي على الارض العربية ولإظهار العلاقات بين المدينتين، فمن الضروري تسليط الضوء على الحالة السياسية لمدينة حلب التي امتلكها السلاجقة قبل مدينة الموصل، فقد وهبها السلطان ملك شاه لقسيم الدولة آق سنقر^(٤) فأصبح اميراً عليها^(٥)، فاحسن السيرة فيها واكتسب محبة اهلها، وجعل لها هيبة، بعد ان قضى على قطاع الطريق، فعمرت حلب في ايامه وانتعشت الحياة الاقتصادية وازدهرت التجارة فيها، وقدم اليها التجار من كل مكان و نعمت بالامن والاستقرار الذي كانت تفتقد اليه قبل

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ٧ : ٤٨٤.

(٢) ابو القاسم عبد الله بن محمد بن الخليفة القائم بامر الله ، والمقتدي هو الخليفة العباسي السابع والعشرين ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٣٣.

(٣) ملك شاه بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل ، اوصى له والده السلطان الب ارسلان بالسلطنة بعد وفاته ، الاصفهاني ، تاريخ دولة ال سلجوق ، ص ٧؛ صدر الدين ابي الحسن علي بن ابي بن علي الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية ، تصحيح : محمد اقبال ، (لاهور ، بلا ، ١٣٥٢ هـ / ص ٥٥.

(٤) اق سنقر: من اصحاب السلطان ملك شاه منذ صغره الى كبره، منحه حلب اضافة الى حماه ومنيج واللاذقية، عز الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر احمد طليمات، (القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، د.ت) ، ص ٨.

(٥) كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان، (دمشق ، المعهد الفرنسي ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م) ، ٢ : ١٠٢.

تسلمه حكمها^(١)، كما ان السياسة التي اتبعها آق سنقر في حلب وما قدمه من اعمال فيها دفع اهل حلب الى التعاون في المستقبل مع ابنه عماد الدين زنكي، مؤسس الدولة الزنكية وحفيده نورالدين الذين اتخذوا من حلب قاعدة لدولتهما^(٢)، كما دفع المؤرخين الى مدحه والثناء عليه^(٣).

وقد انتهى حكم اق سنقر في حلب و لم تدخل الموصل في حكم السلاجقة، فبعد وفاة السلطان ملك شاه، في العام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، اراد اخوه تتش بن الب ارسلان السيطرة على حلب بعد انتزاعها من آق سنقر، بينما كان التنافس قائما في العراق بين بركياروق ناصر الدين محمود بن ملك شاه، واخيه محمد بن ملك شاه^(٤)، ففي العام ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، وعند تنصيب بركياروق بن ملك شاه (٤٨٧-٤٩٨هـ/ ١٠٩٤-١١٠٤م) سلطانا خلفا لوالده، اراد اق سنقر التحالف معه ضد تتش، اذ ان مودة اق سنقر تجاه تتش لم تكن صميمية بل لمسايرته حتى يتوضح موقف ابناء ملك شاه، حليف اق سنقر^(٥)، فاصبح امام تاج الدولة تتش اعداء في حلب التي اراد السيطرة عليها وهم اق سنقر ونور الدين بوزان صاحب حران^(٦) وكربوفا^(٧) الذي ارسله السلطان بركياروق اليهم لإسنادهم من جهة اخرى، بعد ان علم آق سنقر بنية تتش في تملك حلب، وتحرك اليها فعلا من دمشق على رأس جيش كبير، فتمكن تتش

(١) المصدر نفسه ، ٢: ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ٢: ١٠٤؛ محمد ضامن ، من تاريخ حلب حكم قسيم الدولة آق سنقر ٤٧٩-٤٨٧هـ/ ١٠٨٦-١٠٩٤م ، بحث منشور ، (مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، ١٩٨٨)، ع ٢٩: ١٩٥.

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٩٥.

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ٨: ٥٠٢.

(٥) ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٣.

(٦) نور الدين بوزان: احد مماليك السلطان ملك شاه ، ومن المخلصين له ، ذي علاقة طيبة بأق سنقر لان الاثنين كانا في خدمة السلطان، ولقب بوزان بمجاهد الدولة ، ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٢.

(٧) كربوفا: احد قادة الجيش السلجوقي والموالين للسلطان السلجوقي بركياروق بن ملك شاه، المصدر نفسه ص ١٥.

من أسر آق سنقر في منطقة نهر سبعين^(١) وسأله قائلاً: " لو ظفرت بي ما كنت صنعت. قال: كنت اقتلك. قال: فانا احكم عليك بما كنت تحكم علي فقتله.." ^(٢)، وهذا يؤشر الى حالة العداء الشديد بين الطرفين، الا ان اي من المصادر لم يبين سببا حقيقيا لعداء آق سنقر نحو تتش سوى التنافس على السلطة، اما اق سنقر وبعد مقتله دفن في قرنييا^(٣) بالقرب من حلب^(٤). ومن الجدير بالذكر انه بمقتل آق سنقر انتهت مرحلة من مراحل حكم السلاجقة المباشر والفعلي لحلب، كانت فيها تنعم بالاستقرار والامان اللذين لم تعرفهما منذ اكثر من قرن، اضافة الى الازدهار الاقتصادي.

وبعد وصول تتش الى حلب، وفيها بوزان وكربوقا، قتل بوزان وابقى كربوقا اسيرا في حمص^(٥)، ولم يقتله كما قتل بوزان، لانه لم يكن له بلد يملكه اذا قتله كما فعل ببوزان^(٦)، فأصبحت حلب في ١١ جمادى الاول من هذا العام ٤٨٧هـ/ ٢٨ ايار ١٠٩٤م تحت حكم تتش^(٧)، الا ان رغبة تتش في التوسع، فضلا عن تنافسه مع بركياروق على السلطنة ادت الى المواجهة بين الطرفين بالقرب من مدينة الري^(٨) في السابع عشر من

(١) نهر سبعين: على مسافة ستة فراسخ من حلب والفرسخ يعادل ثلاثة اميال، عماد الدين بن اسماعيل بن محمد المعروف بأبي الفداء، تقويم البلدان، (مريد، مطبعة ليدن، د.ت)، ص ١٤: ابن الاثير، الباهر، ص ١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٣) لم اجد لها تعريفا في كتب البلدان.

(٤) عز الدين ابي عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم ابن شداد، الاعلاق الخيرية في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق: دومينيك سورديل، (دمشق، بلا، ١٩٥٣م)، ج ١، ق ٩٧.

(٥) حمص، قلعة حصينة تقع بين حلب ودمشق، صفي الدين عبد المؤمن بن عبدالحق البغدادي (٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)، مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ١: ٤٢٥.

(٦) ابراهيم خليل، كربوغا صاحب الموصل ودوره في مقاومة الصليبيين، بحث منشور، (مجلة المؤرخ العربي، بغداد، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ١٩٨٠م)، ع ٩٧: ٥٤.

(٧) ابن العديم، زبدة الحلب، ١١٨: ٢.

(٨) الري: وهي من اكبر مدن اصفهان الجبلية، شهاب الدين ابي عبدالله بن عبدالله ياقوت الحموي، معجم البلدان، تصحيح: محمد امين الخانجي، (القاهرة، مطبعة دار السعادة، ١٩٠٦م)، ٣: ١١٧.

صفر من العام ٤٨٨هـ/ الخامس والعشرون من شباط ١٠٩٥م^(١) فانتصر جيش
بركياروق وقتل تتش على يد احد اعوان آق

سنقر وحمل رأسه الى بغداد، فجاء ابنه رضوان من دمشق وتسلم حكم حلب في
العام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م، وبعد مفاوضات مع السلطان بركياروق اطلق رضوان سراح
كربوقا في شعبان من العام نفسه/ اب من العام ١٠٩٥م، بعد ان كان والده تتش قد
سجنه في حمص مقابل اطلاق سراح طغتكين^(٢) صاحب دمشق الذي كان معتقلا لدى
السلطان بركياروق^(٣)، وكان رضوان بعد مجيئه للسلطة قد قتل خواص ابيه واحدا
بعد الاخر، ولم يكن يتصدى لغارات الصليبيين المتعددة على حلب في عهده^(٤).

ثالثاً: الحكم السلجوقي للموصل.

استمر نفوذ العقيليين في الموصل، الى ان دخلت في حكم السلاجقة في ذي
القعدة من العام ٤٨٩هـ/ تشرين الثاني ١٠٩٦م، في عهد الخليفة العباسي
المستظهر بالله^(٥) (٤٨٧-٥١٢هـ/ ١٠٩٤-١١١٨م) والسلطان السلجوقي ركن الدين
بركياروق، واول امير سلجوقي نصب عليها هو قوام الدولة ابو سعيد كربوقا^(٦) بعد عام
من اطلاق سراحه من سجنه في حمص من قبل رضوان امير حلب، وقد بدأ كربوقا
حكمه للموصل باقامة الخطبة للسلطان بركياروق، ولقد تولى كربوقا حكم الموصل في
حقبة خطيرة من تاريخ الدولة السلجوقية، لانها كانت تتزامن مع الحملة الصليبية
الاولى، التي استهدفت الاراضي العربية في الشام والجزيرة^(٧) وقد كان للموصل في العصر

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ٢: ١١٩.

(٢) طغتكين: امير من امراء التركمان، غزا الروم كثيرا، وهو صاحب دمشق، في هذا العهد، ابن
الاثير، الباهر، ص ٣٨.

(٣) ابن العديم؛ زبدة الحلب، ٢: ١٢١-١٢٢.

(٤) المصدر نفسه، ١٢١-١٢٢.

(٥) المستظهر بالله، ابو العباس احمد بن الخليفة المقتدي بالله، وهو الخليفة العباسي الثامن
والعشرون، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٥.

(٦) سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابي المظفر يوسف، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، تحقيق:
ابراهيم الزبيقي، (بيروت، دار الرسالة العلمية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)، ١٩: ٤٨٠.

(٧) ابن الاثير، الكامل، ٩: ١٤.

السلجوقي دور في الجهاد ضد الصليبيين بقيادة اميرها كربوقا عندما ارسله السلطان بركياروق في العام ٤٩١هـ/١٠٩٨م الى انطاكيا^(١) بعد نداء الاستنجد الذي ارسله صاحبها ياغيسيان^(٢)، اثر احتلال الصليبيين لها والبدء بمهاجمة المدن الاسلامية بشكل متتالي^(٣) فقد سار كربوقا على رأس جيش من سلاجقة الشام والجزيرة، بقيادة الامراء دقاق بن تتش اخو رضوان، صاحب حلب، وطغتكين صاحب دمشق، وسقمان بن ارتق امير ديار بكر، لاستعادة انطاكيا، وقد وصل كربوقا الى انطاكيا، فخرج منها الصليبيون مخذولين في العشرين من رجب من العام ٤٩١هـ/١٠٩٨م، بعد ان اكلوا دوابهم او الحيوانات الميتة من شدة الحصار ونفاذ الطعام^(٤)، الا ان الانقسامات الموجودة بين المسلمين في تلك الحقبة حالت دون احراز النصر على الصليبيين^(٥) فضلا عن عدم التماسك في الجيش الذي كان يقوده كربوقا والذي كان اغلبه من الترك، وعلى راسهم امرائهم المذكورين، اذ وقعت الخلافات بينهم، بل ان لرضوان صاحب حلب اثر في هذه الخلافات التي وقعت بين امراء الجيش^(٦)، ربما لانه كان يخشى ان يستولي كربوقا على حلب في حالة اكتمال تحقيق النصر، كما ان كربوقا لم يكن لديه خطة عسكرية واضحة في ذهنه^(٧).

اما عن العلاقات بين مدينتي الموصل وحلب ابان الحكم السلجوقي لهما وتحديدًا، في اطار الجهاد ضد الصليبيين، بالرغم من تعرض حلب للخطر الصليبي، ووجود الرغبة في التخلص منه، والجهاد ضده، فقد شهدت هذه المرحلة علاقات اتسمت بالطابع السلبي من جانب حلب في عهد ملكها رضوان بن تتش، اذ ان الموقف الذي اتخذه اميرها رضوان بن تتش كان سلبيا تجاه حملة كربوقا والتي كان الهدف منها

(١) المصدر نفسه ، ٩ : ١٥ .

(٢) ياغيسيان : امير انطاكيا بامر من السلطان ملك شاه ، ابن الاثير ، الباهر ، ص ٨ .

(٣) ابن العديم ، زبدة حلب ، ٢ : ١٣٣ ، ١٣٧ .

(٤) ابن العديم ، زبدة حلب ، ٢ : ١٣٣ - ١٣٧ .

(٥) ابو عبدالله محمد بن محمد بن حامد العماد الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، (دار المنار،

بلا، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ١٧ .

(٦) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ٢ : ١٣٦ .

(٧) خليل ، كربوقا ، ص ١٠٩ .

انقاذ انطاكيا كما سبق ذكره، اذ انه لم يبد اي مساعدة لحملة كربوقا، ولم يشارك في الجهاد الى جانب كربوقا وقواته بالرغم من نداءاته التي وجهها لرضوان، مما اثر في اضعاف حملة كربوقا^(١)، الا ان كربوقا لم يدخر وسعا في القيام بواجبه في جهاد الصليبيين ضمن امكاناته.

وبعد وفاة كربوقا في العام ٤٩٥هـ/ ١١٠١م، بدأ تنافس بين الامراء السلاجقة لحكم الموصل، ففور وفاة كربوقا استولى على الموصل موسى التركماني عامل كربوقا، على حصن كيفا^(٢)، الا ان شمس الدولة جكرمش والي جزيرة ابن عمر^(٣) وهومن اتباع السلطان ملك شاه^(٤)، اعد العدة لتنصيب نفسه اميرا على الموصل، بالرغم من وجود موسى التركماني فيها، فكانت خطوته الاولى لذلك هي الاستيلاء على نصيبين^(٥) والتي كانت في تلك الحقبة تابعة للموصل، وبعد نزالات بينه وبين موسى التركماني، وانحياز جند الموصل الى جكرمش، وانسحاب موسى ومقتله على يد غلمانته، وبعد حصار المدينة، تمكن من دخولها صلحا وتولي حكمها في العام ٤٩٥هـ/ ١١٠١م^(٦).

ان مبادرة جكرمش للتحرك الى الموصل لتولي ادارتها، لاشك انها تنبع من ثقته بقدرته على التغلب على موسى التركماني، ومكانته لدى السلطان يؤكد ذلك شروع

(١) رشيد عبد الله الجميلي ، الموصل في عهد السيطرة السلجوقية ٤٨٩-٥٢١هـ / ١٠٩٥-١١٢٧م ،

مجموعة باحثين ، (موسوعة الموصل الحضارية ، جامعة الموصل ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ، ٢ : ١٣٥ .

(٢) حصن كيفا : وهي بلدة واقعة على نهر دجلة ، بين آمد وجزيرة ابن عمر ، من ديار بكر ، وهي ذات جانبيين ، وبها قنطرة عظيمة من جهة دجلة ، البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ١ : ٤٠٧ .

(٣) جزيرة ابن عمر : بلدة فوق الموصل ، البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ١ : ٣٣٣ : يحيط بها دجلة الا من جهة واحدة ، واول من عمرها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي ، صهيب حازم الغضنفری ، المؤرخ الموصلی عزالدین بن الاثیر ، مقالة منشورة ، (مجلة موصلیات ، مركز دراسات الموصل ، جامعة الموصل ، ٢٠١٠م) ، ٣١٤ : ٥٤ .

(٤) ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٦ .

(٥) نصيبين : مدينة من مدن الجزيرة تقع على الطريق بين الموصل والشام ، الحموي ، معجم البلدان ، ٨ : ٢٩٢ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ٩ : ٥٥ .

جكرمش في التوجه الى الموصل، والسيطرة عليها فور وفاة كربوقا بالرغم من ان السلطة فيها لم تكن شاغرة وان الموصلين اختاروا موسى التركماني، مما يدل على ان جكرمش كان موقنا بقدرته على انتزاع حكم الموصل من التركماني، ولم ينوي ذلك اثناء حكم كربوقا، اما لقوة كربوقا او لعلاقة حسنة بين الاثنين. كما ان دخول جكرمش الى الموصل وتولييه حكمها يؤكد ان لجكرمش علاقة طيبة بالسلطان السلجوقي بركياروق، الذي كانت هذه الاحداث في عهده، اذ ان امارة الموصل في هذه الحقبة كانت تحت الحكم السلجوقي، واميرها كان ولائه وطاعته واجبة للسلطان السلجوقي وعليه اقامة الخطبة له، و القيام بكامل واجباته والتزاماته تجاه السلطنة، وبخلاف ذلك، فانه يعد متمردا على السلطان، ويعزل من الولاية^(١)، بل ان السلطان السلجوقي كان يسير امراء الموصل كيفما شاء، وبامكانه عزلهم متى ما اراد حتى لو بالقوة، مما دفع معظم الامراء السلاجقة الى عدم الاهتمام بالمناطق التي حل فيها الخراب، وحتى لو كانت في قلب المدينة^(٢)، فهذا يؤكد على ان السلطان راض عن حكم جكرمش للموصل.

وفي ولاية جكرمش على الموصل اصبح لها دور في مقاومة الصليبيين، فقد شاركت قوات الموصل العسكرية بموقعة حران^(٣) أوالبليخ^(٤)، في ٩ شعبان من العام ٤٩٧هـ/ ٦ ايار ١١٠٤م، اذ سار جيش الموصل بقيادة جكرمش الذي تعاهد مع سقمان بن ارتق^(٥)، على الجهاد ضد الصليبيين وحماية حران، بعد ان حاصروها بقيادة

(١) رشيد عبد الله الجميلي، امارة الموصل في العصر السلجوقي ٤٨٩-٥٢١، (جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٨٠م)، ص ٩٨.

(٢) عماد الدين خليل، قوام الدولة أبو سعيد كربوقا، اول وال سلجوقي على الموصل ٤٨٩-٤٩٥هـ/ ١٠٩٥-١١٠١م، بحث منشور، (مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية الآداب، جمادى الاولى ١٣٩٤هـ/ ١٠ حزيران ١٩٧٤م)، ع ٥٤: ١٥٢.

(٣) حران: وهي قرية من قرى حلب، البغدادي، مرصد الاطلاع، ١: ٣٨٩.

(٤) البليخ: اسم نهر يجتمع فيه الماء من عدة عيون في منطقة حران، المصدر نفسه، ١: ٢٢١.

(٥) سقمان بن ارتق هو ابن ارتق بن اكسب مؤسس دولة الارائقة، والذي اصبح اميرا للارائقة بعد والده، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م)، ١: ١٩١.

بلدوين^(١) والتقىا بقرب الخابور^(٢)، وقد كان لحران اهمية كبيرة بالنسبة لحماية الموصل والجزيرة ولها اهمية ايضا لتأمين الاتصال بين مدينتي الموصل وحلب، و سقوطها بيد الصليبيين يعني انهم سيتمكنوا من الهجوم على الموصل وقطع الاتصالات بينها وبين حلب^(٣)، فسار سقمان على رأس سبعة الاف فارس، وجكرمش على رأس ثلاثة الاف فارس، و تمكنوا من الظفر بالصليبيين وغنموا الكثير من اموالهم واسلحتهم، وقتلوا الكثير منهم ولم يبق منهم سوى ستة فرسان هربوا مذعورين^(٤)، واستولى سقمان على ملابس الصليبيين ودروعهم والبسها لجنده واركبهم خيلهم، مما جعل الصليبيين يظنون انهم اصحابهم، وتمكن المسلمون من السيطرة على حصون شيحان^(٥) اما جكرمش فقد تمكن من الاستيلاء على حران ثم الرها^(٦)، ثم عاد الى الموصل، وبلغ عدد القتلى الصليبيين اثنا عشر الف قتيل^(٧).

لقد اعاد الانتصار في معركة حران الثقة للمسلمين بأنفسهم، بعد الاحباط الذي تعرضوا له، في مواجهتهم العسكرية مع الصليبيين في عهد كربوقا، فضلا عن ارتفاع الروح المعنوية لديهم، وتعرفهم على الاساليب القتالية لعدوهم الجديد، مما كان له الاثر في تطور اساليبهم القتالية ضد الصليبيين في المستقبل، كما اعطت هذه

(١) بلدوين : بلدوين دي بوج ، صاحب الرها نيابة عن بلدوين صاحب بيت المقدس ، محمد سهيل طقوش ، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ٤٧١-٥١١ هـ / ١٠٧٨-١١١٧ م ، (بيروت ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٣ هـ / ٢٠٠٩ م)، ص ٢٥٣.

(٢) الخابور : نهر كبير يصب في الفرات في منطقة الجزيرة ، البغدادي ، مرصد الاطلاع ، ١ : ٤٤٤.

(٣) طقوش ، تاريخ السلاجقة ، ص ٢١٨.

(٤) ابو يعلي حمزة ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، (القاهرة ، مكتبة المثنى ، د.ت)، ص ١٤٣.

(٥) شيحان : جبل مشرف على جميع الجبال في القدس ، البغدادي ، مرصد الاطلاع ، ١ : ٨٢٤.

(٦) الرها : مدينة بالجزيرة ، فوق حران ، بستة فراسخ ، المصدر نفسه ، ٢ : ٦٤٤.

(٧) ابن الاثير ، الكامل ٩ : ٧٤.

المعركة الفرصة لرضوان ملك حلب ان يسترد القلاع والمدن القريبة من بلاده من سيطرة الصليبيين^(١).

اما فيما يخص التطورات السياسية فقد اصبحت الموصل في ربيع الاخر من هذه السنة ٤٩٧هـ/كانون الثاني ١١٠٣م، خاضعة لحكم السلطان محمد بن ملك شاه اضافة اذربيجان وارمينية، والجزيرة، بينما يكون للسلطان برقياروق اسم السلطنة والخطبة في مدن الري وبغداد واعمالهما بناءً على اتفاق صلح عقده مع اخيه برقياروق^(٢)، وبعد الصلح اراد السلطان محمد التوجه الى الموصل وانتزاعها من جكرمش، فاستعد جكرمش لذلك وعمل على تقوية الوسائل الدفاعية للموصل، ودأب على جمع الكثير من الجند من اطراف الموصل، وعند وصول السلطان محمد الى الموصل في العام ٤٩٨هـ/١١٠٤م امر جكرمش بتسليمها اليه وفق اتفاق الصلح مع برقياروق و وعد جكرمش بان يُقرّه على الموصل ان دخل في طاعته، وجعل الخطبة له، الا ان جكرمش رفض تسليم الموصل، وقال ان السلطان برقياروق امره بعدم تسليم الموصل لغيره، فبدأ القتال بين الجيشين، وقاتل سكان الموصل بشراسة دفاعا عن جكرمش لسيرته الحسنة بينهم^(٣)، وفي هذه الايام توفي السلطان برقياروق في ٢ جمادى الاخر ٤٩٨هـ/١٨ شباط ١١٠٥م، فشاور جكرمش اعوانه في الدخول بطاعة محمد بن ملك شاه فوافقوه ودخل في طاعته، فامر بالعودة الى الموصل لانه علم بولاء اعوانه له، وتبادل الاثنان الهدايا، وعاد جكرمش الى الموصل لادارتها^(٤).

اما عن العلاقات بين حلب والموصل فقد بقيت على حالها بل ازدادت سوءا، في عهد جكرمش، اذ قام رضوان ملك حلب في رمضان من العام ٤٩٩هـ/ايار ١١٠٦م،

(١) رشيد الجميلي ، امارة جكرمش في الموصل ٤٩٥-٥٠٠ هـ ، بحث منشور،(مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ع ١٥: ٢١٩.

(٢) ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨: ١: ٨.

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٧٩: ٩.

(٤) المصدر نفسه، ٧٩: ٩؛ صهيب حازم عبد الرزاق الغضنفر، الموصل في التاريخ العربي الاسلامي، مقالة منشورة(مجلة موصليات، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، ٢٤ ذي القعدة ١٤٢٩هـ/٢٢ تشرين الثاني ٢٠٠٨م)، ع ٢٤: ٣٢-٣٣.

بمحاصرة نصيبين التابعة للموصل، عندما اشار له بذلك الامراء الذين رافقوه، وهم ايلغازي بن ارتق^(١)، والبي بن ارسلان تاش^(٢) صاحب سنجار، الذين اشاروا اليه بالسيطرة على بلاد جكرمش والتزود بجيشها واموالها، الا ان هذا المخطط قد فشل لان جكرمش كان قد ترك في نصيبين اعوانا مخلصين له، احسنوا الدفاع عنها، فضلا عن ان جكرمش افلح في مخادعة رضوان والايقاع بينه وبين من اشاروا اليه بالمخطط، وافسد نيات اعوان رضوان، وذكره بان جيشه كبير العدد والعدة، وان حلب ضمن الاطماع الصليبية وان المصلحة تقتضي الغاء فكرته، كما نجح جكرمش بالايقاع بين رضوان وايلغازي، فقبض الاول على الثاني، مما اثار اعوانه الذين عاثوا فسادا، ونهبوا المواشي، فاسرع رضوان بالعودة الى حلب^(٣).

وفي العام ٤٩٩هـ/١١٠٦م، بدأت سلطة جكرمش في الموصل تتعرض للخطر، ففي هذه السنة خرج قليج ارسلان بن سليمان بن قتلмыш صاحب بلاد الروم لقتال الصليبيين، فقام اعوان جكرمش المقيمين في حران الخاضعة لسيطرته، بمراسلة قليج ارسلان رغبة منهم في قدومه اليها وتسلمها^(٤)، وقد تم ذلك فعلا وتسلم قليج ارسلان حران، كما ان السلطان محمد بن ملك شاه، اراد التخلص من جكرمش، فاقر جاولي سقاوة^(٥) على كل ما كان يمتلكه جكرمش ومنها الموصل في العام ٥٠٠هـ/١١٠٦م، والذي دفع السلطان الى ذلك، هو ما اتصف به جكرمش من نزعات استقلالية، وطموحات شخصية، فضلا عن تهريبه من اداء واجباته وتقاعسه في اداء التزاماته المالية تجاه السلطان بصفته اميرا على الموصل، وقد ذكرنا سابقا وجوب التزام الامير بطاعة

(١) ايلغازي بن ارتق، بن اكسب، من امراء الارائقة، وهو صاحب ماردين، ابن الاثير، الباهر، ص ١٨.

(٢) البي بن ارسلان تاش، صاحب سنجار، وهو صهر جكرمش، ابن الاثير، الكامل، ٩: ٩٢.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ٩: ٩٢.

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٥٩؛ ابن الاثير، الكامل، ٩: ٩٧.

(٥) جاولي سقاوة: كان مسيطرا على البلاد الواقعة بين خوزستان وفارس، وكان سيء السيرة لدى اهل هذه البلاد، الا ان السلطان محمد كلفه بمحاربة الصليبيين، واسترجاع ما اخذوه من اراض، واكراما له اقطعه ارض الموصل والجزيرة وديار بكر، المصدر نفسه، ٩: ١٠٢.

السلطان السلجوقي، وبعد وصول جاولي الى الموصل، قام بأسر جكرمش، وسجنه في بئر حتى الموت^(١).

بانهاء حكم جكرمش الذي دام خمسة اعوام ٤٩٥-٥٠٠هـ/١١٠٢-١١٠٧م، تنتقل ولاية الموصل الى جاولي سقاوة، والذي حكمها لفترة سنتين ٥٠٠-٥٠٢هـ/١١٠٧-١١٠٩م، الا ان حكم جاولي للموصل فرضه الوضع العسكري والذي نتج عن التفوق العسكري لجاولي، ولذلك لم تدم ولايته للموصل لسنوات طويلة بل لسنتين فقط، اذ قام جاولي بعصيان ضد السلطان محمد بن ملك شاه الذي اكرمه وجعله اميرا على كل بلد يفتحه مما دفعه الى الاستيلاء على كثير من الاموال في البلدان التي فتحها ولم يف بالتزاماته المالية تجاه السلطان^(٢)، ورفضه الحضور الى السلطان بعد ان طلبه لقتال اعدائه، فمن الطبيعي ان يثير ذلك غضب السلطان على جاولي مما دفع به الى ان يرسل اليه احد الامراء السلاجقة وهو مودود بن التوتكين^(٣)، فتسلم الموصل في صفر من العام ٥٠٢هـ/تشرين الاول ١١٠٩م، بينما هرب جاولي الى نصيبين^(٤)، اما في حلب فاننا نلاحظ عدم حدوث اي تغيير في السلطة، اذ ان ملكها رضوان بن تتش لم يزل في منصبه، عكس التغييرات التي حدثت في الموصل كقتل جكرمش، وطرد جاولي، والسبب في ذلك ان حلب اتسمت بالاستقرار السياسي، اذ ان رضوان بن تتش والذي امتلكها وراثته، بعد ابيه، وهو ابن عم السلطان

(١) المصدر نفسه ، ٩ : ١٠٢-١٠٣.

(٢) الاصفهاني ، تاريخ دولة السلجوق ، ص ١٢١.

(٣) مودود بن التوتكين: امير الموصل خلال الاعوام ٥٠٢-٥٠٧هـ/١١٠٨-١١١٤م، والذي قضى على تمرد جاولي سقاوة بامر من السلطان محمد في صفر من العام ٥٠٢هـ/١١٠٨م، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٦٠؛ عماد الدين خليل، مودود بن التوتكين واحد من المجاهدين الرواد، بحث منشور، (مجلة الفيصل، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ع ٦٥: ٣٠؛ رشيد عبدالله الجميلي، الامير مودود صاحب الموصل والحروب الصليبية ٥٠٢-٥٠٧هـ، بحث منشور، (مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ع ١٤٦: ٤٦١.

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ٩ : ١٢٤-١٢٥.

السلجوقي، ولديه حصانة طالما ان السلطان راض عنه ومن الصعب ازاحته عن حكم حلب في ظل الدولة السلجوقية.

اما الموصل وفي ظل التغييرات السياسية وبعد ان تسلمها مودود بن التوتكين، في ظروف عصيبة تعرضت لها المنطقة العربية في الشام وحلب والجزيرة، جراء الغزو الصليبي الذي اجتاحتها، وعدم توفر الظروف التي تسمح بالتصدي لهذا الغزو بشكل حاسم نظرا لما تعانيه الخلافة من الضعف نظرا للتدخلات الخارجية في شؤونها وهيمنتها عليها، والذي تعاني منه السلطنة السلجوقية في نفس الوقت، نظراً للخلافات التي كانت قائمة في الاسرة السلجوقية.

وبعد استقرار مودود في الموصل، اتصل بعماد الدين زنكي بن اق سنقر امير حلب السابق، والذي كانت له منزلة لدى اصحاب والده، كما كان له منزلة رفيعة ايضا لدى جكرمش تناسب محبته لوالده اق سنقر، اذ اتخذه ولدا بعد مقتل والده، وبقيت الصحبة بينهما الى ان توفي جكرمش^(١)، وفي هذه السنة كان الصليبيون قد اكملوا اجتياح بلاد الشام ونجحوا في اقامة الامارات الصليبية الاربعة الرها وانطاكيا، وطرابلس، وبيت المقدس^(٢)، وقد ساعدهم في ذلك حالة التفكك السياسي والمذهبي التي سادت العالم الاسلامي^(٣).

لقد قطعت الموصل في عصر الامارة السلجوقية شوطا كبيرا من تاريخها في الجهاد ضد الصليبيين، اذ انها كانت تساهم في اسناد القوى التي تصطف في مواجهة الغزوات الصليبية، فكما سبق لكربوقا وجكرمش المساهمة في التصدي للموجات الصليبية، فان مودود لم يدخر وسعا في مساندة اي جهة تستغيث به للتصدي للموجة

(١) ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٦.

(٢) انطاكيا طرابلس بيت المقدس ، اضافة الى الرها هي الامارات التي استولى عليها الصليبيون وجعلوها ابرز قواعدهم في المشرق ابان الحروب الصليبية ، ابراهيم السامرائي ، تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي، (الموصل، دار ابن الاثير للطباعة، ١٩٨٨م)، ص ٢٦٢-٢٦٨: الجميلي، الامير مودود، ص ٤٦٢.

(٣) المرجع نفسه ، ص ٤٦١-٤٦٢.

الصليبية، فضلا عن رغبة السلطان السلجوقي محمد بن ملك شاه (٤٩٨-٥١١هـ/١١٠٥-١١١٨م) باستئناف الجهاد ضد الصليبيين، اذ بدأ مودود جهاده بحصاره لمدينة الرها عن طريق الاستعانة بعساكر حران في شوال من العام ٥٠٣هـ/ايار ١١١٠م، الا انه لم يتمكن من فتحها في هذه الجولة فرحل عنها الى حران بهدف ابعاد الصليبيين عن مركز قوتهم واستدراجهم الى شرق الفرات، لغرض تطويقهم^(١).

اما في شعبان من العام ٥٠٤هـ/آذار من العام ١١١١م فقد اعد السلطان محمد بن ملك شاه الجيوش لانقاذ حلب، بعد ان جاء جماعة من اهلها الى بغداد مستغيثين من اعتداءات الصليبيين^(٢) فارسل السلطان ولده مسعود الى الموصل ليكون مع عساكرها وعساكر اطراف الموصل وهم كل من اربل^(٣)، وارمينية^(٤)، وديار بكر^(٥)، وماردين^(٦)، فتحركت هذه القوات بقيادة مودود امير الموصل باتجاه الرها وفتحت ما صادفها من حصون صليبية، وفرضت الحصار مرة اخرى على الرها، التي كان الصليبيون قد حصنوها بعدما سمعوا بمجيء الجيوش الاسلامية، مما دفع مودود الى الانسحاب الى تل باشر^(٧)، فوجدها محصنة تحصينا محكما، وحاصرها هو وجيشه لمدة خمس واربعين

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٣: محمد كرد علي، خطط الشام، (دمشق، المطبعة الحديثة، ١٩٥٢م)، ١، ٢٩٦:

(٣) اربل: قلعة حصينة لها خندق عميق وهي من اعمال الموصل، وبينهما مسيرة يومين، الحموي، معجم البلدان، ١: ١٧٣.

(٤) ارمنية: صقع واسع عظيم شمال ارض العرب، البغدادي، مراصد الاطلاع، ١: ٦٠.

(٥) ديار بكر: بلاد واسعة تنسب الى بكر بن وائل، وحدها ما عرّب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين، البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢: ٥٤٧.

(٦) ماردين: قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة، مشرفة على نصيبين، المصدر نفسه، ٣: ١٢١٩.

(٧) تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة شمال حلب، بينهما يومين، المصدر نفسه، ١: ١٦٩، وهي بلدة مشهورة ولها قلعة معمورة وبساتينها كثيرة ومياها غزيرة ومائها من نهر الساجور، كمال الدين عمر بن احمد بن جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، د.ت)، ١: ٣٢١.

يوما، الا انهم لم يتمكنوا من الدخول اليها^(١) فتوجهوا الى حلب وعندما وصلوها، اغلق رضوان ملكها الابواب ولم يستقبلهم، فرجعوا الى معرة النعمان^(٢)، وبعد سماع الصليبيين لهذه الاخبار وما فيها من تفرق المسلمين ارادوا استغلال الامر لصالحهم عسكريا، فتقدموا بعد ان نبذوا ما بينهم من خلافات باتجاه افامية^(٣)، ولكن مودود لم يبق لوحده اذ ان طغتكين صاحب دمشق قد قدم اليه ولازمه في معرة النعمان^(٤)، كما ان محمد بن سلطان بن منقذ صاحب شيزر^(٥)، لما سمع بتحرك الصليبيين، جاء ايضا الى مودود وطغتكين، وحثهم على الجهاد ضد الصليبيين، الذين عادوا الى افامية فور سماعهم بتحرك المسلمين الذين طاردوهم وقتلوا من ظفروا به ثم عادوا الى شيزر في ربيع الاول من العام ٥٠٥هـ/ايلول من العام ١١١١م^(٦).

الا ان مودود شعر انه لم يحقق ما كان يرمي اليه من نتائج حاسمة في جهاده ضد الصليبيين، لوجود الخلافات بين امراء المسلمين، مقابل تزايد قوة الصليبيين في الارض العربية، وتعزيز حشودهم في مواقعهم تحت قيادة بلدوين^(٧) وهذا لا يختلف عن حال امراء المسلمين في السنوات السابقة منذ بدأ الانتشار الصليبي، في الاراضي العربية في عهد كربوقا امير الموصل. وفي العام ٥٠٦هـ/١١١٢م، تم الاتفاق بين جيوش المسلمين بقيادة مودود مع رضوان ملك حلب على اشتراك رضوان معهم في الجهاد ضد الصليبيين، الا ان رضوان اكتفى بارسال ما يقل عن مائة فارس مما اغضب مودود ومن

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ٩ : ١٤٤.

(٢) معرة النعمان : مدينة كبيرة من اعمال حمص ، تقع بين حلب وحماء ، الحموي ، معجم البلدان ، ٨ : ٩٦.

(٣) افامية : حصن منيع يقع على تل مرتفع بالقرب من سواحل الشام ويعد من احصن القلاع وامنعها، الحموي، معجم البلدان ، ١ : ١٠.

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ٩ : ١٤٤.

(٥) شيزر : كورة بالشام قرب معرة النعمان ، بينها وبين حماه يوم ، في وسطها نهر الاردن ، عليه قنطرة في وسط المدينة ، الحموي ، معجم البلدان ، ٥ : ٣٢٤.

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ٩ : ١٤٤.

(٧) الجميلي ، الامير مودود ، ص ٤٧١-٤٧٢.

معه من امراء الجيش، بل ان طغتكين صاحب دمشق الغى اسم رضوان عن السكة في دمشق في الاول من ربيع الاول من العام ٥٠٧هـ/ ١٥ اب ١١١٣م^(١)، وقد قرر مودود وطغتكين وقف القتال والذهاب الى دمشق وفي وقت قريب قتل مودود في دمشق عندما ذهب اليها برفقة طغتكين، اذ انه اعتاد في دمشق على الذهاب الى المسجد، وفي احد ايام الجمعة وعند خروجه من الجامع طعنه احد الباطنية^(٢) وارده قتيلا، اما التاريخ الدقيق لمقتله فقد اختلف فيه، اذ يقول ابن القلانسي^(٣)، ان حادثة قتله وقعت في ربيع الآخر من العام ٥٠٧هـ/ اب ١١١٣م، في حين يقول ابن اثير^(٤) انه قتل في يوم الجمعة في ربيع الاول، من العام نفسه، بينما هناك مصادر اخرى تذكر مقتله بنفس الحادثة في يوم الجمعة الا انها لم تذكر التاريخ لا في اليوم ولا في الشهر^(٥) الا ان ابن تغري بردي^(٦) يضيف بان مودود مات وهو صائم ولم يفطر، وقال: "والله ما القى الله الا صائما"، الا اننا نرجح التاريخ الذي ذكره ابن القلانسي لمقتل مودود، اذ انه توفي في السنة التي ولد فيها ابن الاثير، وقد دفن مودود في دمشق، ثم نقل جثمانه الى بغداد بجوار الامام ابي حنيفة النعمان، ثم نقل اخيرا الى اصفهان^(٧).

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ٢: ١٦٣-١٦٤.

(٢) الباطنية: تلقبوا بهذا اللقب على اساس ان لكل ظاهر باطن، ولكل تنزيل تأويل، ولهم تسميات عديدة، ففي العراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية، وفي خراسان يسمون التعليمية والملاحدة، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: محمد بن عبد القادر الفاضلي، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ص ١٣٥، ١٥٧؛ احمد محمد الجلي، الباطنية في التاريخ اصولهم واهم افكارهم دراسة وتقويم، (الامارات، العين، دار الكتاب الجامعي للنشر، ٢٠١٠م)، ص ٢٠.

(٣) ذيل تاريخ دمشق، ١٨٧.

(٤) الكامل، ٩: ١٥٠.

(٥) الاصفهاني، تاريخ دولة ال سلجوق، ص ١٣٢؛ جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، ١٩٦١م)، ٥: ٢٠٧.

(٦) المصدر نفسه، ٥: ٢٠٧.

(٧) ابن الاثير، الكامل، ٩: ١٥٠.

اما رضوان امير حلب فقد اصيب بمرض شديد ادى الى وفاته في العشرين من جمادى الاخر من العام ٥٠٧هـ/الاول من كانون الاول ١١١٣م، مخلفا في خزانته من الالات ما يعادل ستمائة الف دينار^(١).

اما فيما يخص الموصل بعد مودود فبعد ان علم السلطان محمد بن ملك شاه بمقتل اميرها مودود، فقد اقطع^(٢) الموصل وغيرها مما كان تحت تصرف مودود لاق سنقر البرسقي^(٣)، وارسل معه ابنه الملك مسعود الى الموصل، ثم جهزه، بالعساكر وارسله لقتال الصليبيين، وكتب الى عساكر الموصل يأمرهم بالمسير معه، فانضمت اليه كل من سنجار، وجزيرة ابن عمر، وماردين^(٤)، وكان مع البرسقي في هذه الحملة عماد الدين زنكي، والذي كان يعرف بزنكي الشام تمييزا له عن شخص آخر وهو زنكي بن برسقي صاحب همذان^(٥). وكان عماد الدين زنكي قد اظهر شجاعة لا توصف تميز بها منذ ذلك الحين^(٦)، اما آق سنقر البرسقي، فقد سار على رأس خمسة عشر الف فارس الى الرها في ذي الحجة من العام ٥٠٨هـ/ايار ١١١٥م، وحاصرها وقاتل الصليبيين الموجودين فيها، وبقي فيها شهرين، الا انه غادرها بعد ان قلت تجهيزات المسلمين واقواتهم ثم توجه بعدها الى سميساط^(٧)، وهي ايضا من المدن التي كان الصليبيون

(١) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ٢ : ١٦٤.

(٢) المقصود بالاقطاع تخويل الامير الحق في ان ياخذ لنفسه صافي ايرادات المدينة بعد نفقات المنافع العامة ومرتبات الموظفين ، عسكريين ومدنيين ، سواء ان اقام المقطع في المدينة ام لا ، حسين مؤنس ، نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق ، (القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) ، ص ٣٨٤.

(٣) آق سنقر البرسقي : ابو سعيد قسيم الدولة سيف الدين ، ملك الموصل والرحبة ونواحيهما بعد مودود ، وقبل هذا كان شحنة بغداد في ايام السلطان محمد بن ملك شاه ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٢ : ٢٤٢.

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ٩ : ١٥٣.

(٥) ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٩.

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٩.

(٧) سميساط: مدينة تقع غربي نهر الفرات، لها شق فيه قلعة، يسكنها الارمن، الحموي، معجم البلدان، ٥ : ١٣٨.

يسيطرون عليها فعمل على تدميرها، وحقق انتصارات كبيرة على الصليبيين^(١)، إلا أن
إلغازي صاحب ماردين، وطغتكين صاحب دمشق لم يخضعا لاق سنقر البرسقي^(٢)،
وقد عاد البرسقي إلى بغداد، بينما أقام عماد الدين زنكي في الموصل مع الملك مسعود بن
السلطان محمد^(٣).

وقد أرسل السلطان محمد إلى الموصل جيشا بقيادة الأمير برسق بن برسق^(٤) بعد
عصيان إلغازي وطغتكين^(٥)، كما أقطع السلطان محمد الموصل التي كانت لاق سنقر
البرسقي لجيوش بك^(٦) في العام ٥٠٩ هـ / ١١١٤ م^(٧)، وأرسل معه إلى الموصل ابنه
السلطان مسعود، بينما أقام اق سنقر بالرحبة^(٨)، وهي أقطاعه فبقي فيها حتى وفاة
السلطان محمد^(٩).

أما حلب فبعد وفاة رضوان بن تنش، قد تسلم ملكها ابنه الب أرسلان، والذي
كان يعرف بالآخرس، وهو لم يكن آخرس، وإنما لقب بذلك نتيجة حبسة في لسانه
وعمره حين تسلم الملك ستة عشر عاماً^(١٠)، وأمه ابنة ياغيسيان صاحب انطاكية^(١١)

(١) ابن الأثير، الكامل، ٩: ١٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ٩: ١٥٣-١٥٤.

(٣) ابن الأثير، الباهر، ص ٢٠.

(٤) برسق بن برسق، وهو أمير همذان الذي كلفه السلطان محمد بقيادة حملة عسكرية كبيرة، لقتال
طغتكين وإلغازي الذين استعصيا على اق سنقر، ومن ثم التوجه لقتال الصليبيين، ابن الأثير،
الكامل، ٩: ١٥٨.

(٥) المصدر نفسه، ٩: ١٥٨.

(٦) أحد أمراء السلطان السلجوقي محمد على الموصل، ابن الأثير، الباهر، ص ١٩-٢٠.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ٩: ١٥٨-١٥٩؛ الباهر، ص ١٩؛ رشيد الجميلي، ولاية جيوش بك على
الموصل ٥٠٩-٥١٥، بحث منشور، (مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة
والنشر، ١٩٧٤م)، ع ٥: ٢٥١؛ أمانة الموصل، ص ١٢٩.

(٨) رحبة مالك بن طوق، على الفرات، تتوسط دمشق وحلب إلا أنها أقرب إلى حلب، الحموي،
معجم البلدان، ٢: ٦٠٨؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ١: ٩٣.

(٩) ابن الأثير، الكامل، ٩: ١٦١.

(١٠) ابن العديم، زبدة الحلب، ٢: ١٦٧.

(١١) المصدر نفسه، ٢: ١٦٧.

ومن الطبيعي نتيجة لصغر سنه فقد استغل احد المماليك ذلك وهو لؤلؤ ايليايا، وجعل من نفسه وصيا عليه^(١)، وقد شعر الب ارسلان بن رضوان انه لن يتمكن من ادارة دفعة الحكم، فلجأ الى طغتكين صاحب دمشق، للاستعانة به والذي ابدى له الترحيب، واقام الدعوة له على منابر دمشق بعد الدعاء للسلطان، وضرب السكة باسمه في رمضان من العام ٥٠٧هـ/شباط ١١١٤م، ووافقه الرأي من منطلق ان الب ارسلان صبي، ولا هيبة له عند الصليبيين^(٢). وبعد ان اقام الب ارسلان اياما في دمشق، عاد الى حلب بصحبة طغتكين، غير ان طغتكين استاء من بعض الاعمال التي قام بها الب ارسلان، وهي مخالفته لرأي طغتكين، ومنها انه قام باعتقالات لابرز رجال الجيش المحمودين، مما اثار سخط طغتكين، ففضل العودة الى دمشق ومعه ام الملك المتوفي رضوان بن تنش التي ارادت ذلك^(٣).

ان صغر الب ارسلان، وافتقاره للخبرة القيادية والسياسية جعله في وضع حرج فقد استعان بطغتكين، واقدمه الى حلب، الا انه لم يحسن التصرف بوجوده ولم يكن يأبه برأيه مما اضطره الى العودة الى دمشق، ومن جهة اخرى فأن لؤلؤ كان صاحب التصرف الفعلي، والقرار الحقيقي في حلب، ولم يرق للؤلؤ وجود طغتكين، لانه يشعر انه منافسا له في سلطته بحلب، فقد كان الب ارسلان يخضع لتحريض لؤلؤ ضده كما ان سيرة لؤلؤ السيئة دفعته الى قتل من يشك فيه، ثم لم يبق له الا التخلص من الب ارسلان، وفعلا فقد قتله في قلعة حلب اثناء نومه في ربيع الثاني من العام ٥٠٨هـ/ ايلول ١١١٤م^(٤)، ثم نصب مكانه اخاه واسمه سلطان شاه، ويبلغ من العمر ستة سنوات، وتولى ادارة المملكة، واستمر لؤلؤ في ادارة حلب وسار على نهجه السابق في سوء التدبير، وقام هو اي لؤلؤ ورجال الجيش في حلب بمراسلة طغتكين للقُدوم مع جيشه وطرده الصليبيين عن حلب، الا انهم رفضوا القُدوم الى حلب، وتذكر المصادر ان سبب

(١) المصدر نفسه ، ٢ : ١٦٧.

(٢) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ٢ : ١٦٩.

(٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٩٠ : ابن الاثير ، الكامل ، ٩ : ١٥٧.

(٤) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ٢ : ١٧٢.

عدم قدوم صاحب دمشق وجيشه الى حلب هو رغبتهم ببقاء الصليبيين قريبا " ليثبت عليهم ما هم فيه"^(١) لكن من المحتمل ان تكون سيرة لؤلؤ السيئة، ومحاولته السيطرة على الامور في حلب، وقتله لملكها الب ارسلان، كان وراء نفور صاحب دمشق وجيشه عن القدوم الى حلب، كما ان لؤلؤ قد اراد تعويض الظرف الاقتصادي الصعب الذي صادف حلب، نتيجة استيلاء الصليبيين عليها وتسلطهم على مواردها، والحاجة الى اموال تصرف للجند، عن طريق بيع الكثير من القرى، اذ يقول ابن العديم: " فباع لؤلؤ قرى كثيرة من بلد حلب"^(٢)، الا انه لم يذكر لمن بيعت القرى، فربما تكون هذه القرى قد بيعت الى الصليبيين، اذ ان السيرة السيئة للؤلؤ لا تبعد الشك في انه يتواطأ مع الصليبيين، كما يدفعنا هذا الاحتمال، الى ان مبادرة جند لؤلؤ الى قتله، قد تكون

نتيجة لتعاونه مع الصليبيين، فقد قتله الجند، وهو بهيئة متصيد، في ذي الحجة من العام ٥١٠هـ/ ايار ١١١٦م، ونهبوا خزائنه فوراً، الا أن اهل حلب خرجوا اليهم واستعادوها، كما قيل ان سبب قتله انه اراد قتل سلطان شاه بن رضوان، مثلما قتل الب ارسلان اخيه، الا ان اعوانه احسّوا بذلك، فقتلوه^(٣)، ومن الطبيعي ان تتبع قتل لؤلؤ مظاهر الفوضى، لانه في عهده كان الفساد مستشرياً، وقد كان هو المستفيد من مقدرات المدينة الاقتصادية والسياسية، فعند مقتله ازدادت اثار الفوضى التي كانت في عهده، اذ ان امور البلاد كانت في يده، فمن الصعب ان يقدم احد على اصلاح السوء في البلاد وهو حي، بل ان يارقتاش الذي حل محل لؤلؤ الخادم في وصاية سلطان شاه ملك حلب، هادن الصليبيين، الا انه اخرج من حلب، وحل محله الامير ابي المعالي المحسن بن الملحي الدمشقي^(٤) ثم عزل وصور^(٥).

مما تقدم يتضح ان حلب لم تتمتع بالاستقرار سياسياً منذ وفاة رضوان بن تنش، في الوقت نفسه فان اي نشاط في العلاقات بينها وبين الموصل لم يحدث ايضاً، الى

(١) المصدر نفسه ، ٢: ١٧٣.

(٢) المصدر نفسه ، ٢: ١٧٣.

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٩: ١٧١.

(٤) لم اجد له ترجمة.

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ٩: ١٧١.

ان عادت حلب الى حكم العائلة الارثقية، اذا أن أهلها احسوا بالخوف من هجوم الصليبيين عليها فسلموها لنجم الدين ايلغازي بن ارتق في العام ٥١١هـ/١١١٨م^(١)، وهذه علامة على الضعف الذي بدأ يظهر على النفوذ السلجوقي.

كما أن حلب لم يكن لها دور في الجهاد ضد الصليبيين، في تلك الحقبة، اي منذ حكم رضوان لها، بينما كانت الموصل هي القائد في ذلك المجال، وامرائها على الاغلب هم قادة الحملات العسكرية ضد الصليبيين دون استثناء، مثل كربوقا وجكرمش ومودود وآق سنقر.

اما السلطان محمد بن ملك شاه فقد توفي في هذا العام في ٢٣ ذي الحجة ٥١١هـ/١٦ نيسان ١١١٨م، وتسلم السلطنة محله ابنه مغيث الدين محمود بن محمد بن ملك شاه (٥١١_٥٢٥هـ/١١١٧_١١٣٠م)^(٢).

وفي يوم الاربعاء ٢٣ ربيع الاول من العام ٥١٢هـ/١٣ تموز ١١١٨م توفي الخليفة العباسي الثامن والعشرين المستظهر بالله، وتولى الخلافة ابنه ابو المنصور المسترشد بالله (٥١٢_٥٢٩هـ/١١١٨_١١٣٤م)^(٣).

حاول ايلغازي بعد تسلمه الحكم في حلب، تغيير الوضع القائم فيها، وتخليصها من التدهور الذي عاشته في السنوات الماضية، فبالرغم من انه لم يقدم على محاربة الصليبيين الا انه رغب في ازاحتهم عن الارض الاسلامية اذ انه راسل الصليبيين الموجودين في عزاز^(٤) وطلب منهم مغادرتها، مقابل مال يرسله اليهم، الا انهم رفضوا مغادرتها، بسبب غرورهم بموقفهم الاقوى واطماعهم في الاراضي العربية، الا ان اهل حلب تمكنوا من اجراء اتفاق مع اهالي عزاز، ومنعهم من الاستسلام للصليبيين، مقابل حرية تصرفهم في شمال حلب وغربها، كما زرعت اعمال حلب، وكان لاهل حلب نصيبا

(١) المصدر نفسه ، ٩ : ١٧١ ؛ ابن العديم ، بغية الطلب ، ١ : ٤٨٣.

(٢) الاصفهاني ، تاريخ دولة ال سلجوق ، ص ١٣٥ ؛ ابن الاثير ، الباهر ، ص ٢٠.

(٣) ابو منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر بالله ، وهو الخليفة العباسي التاسع والعشرون ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٣٨_٣٣٩.

(٤) عزاز بلدة فيها قلعة وتقع شمال حلب ، الحموي ، معجم البلدان ، ٦ : ١٦٨.

من اقوائها، لأنها كانت تعيش وضعاً اقتصادياً سيئاً، نتيجة الفوضى السياسية التي كانت سائدة فيها، فضلاً عن مفاوضات مع الصليبيين وتنازلات لهم، ليعيدوهم عن عزاز^(١).

وفي سعيه لتقوية موقفه عسكرياً فقد عقد ايلغازي اتفاقاً مع طغتكين للجهاد المشترك ضد الصليبيين، ودرء الاخطار التي كانت تهدد حلب فضلاً عن اتفاقات سعى ايلغازي لعقدتها مع عدة امارات شرقي حلب، وامارة ماردين، ومراسلات جرت مع المسلمين من عرب وتركماني، وامارات عديدة شرق الفرات وغربه، فسار لخوض معارك ضد الصليبيين، فحقق فيها انتصارات كبيرة في العام ٥١٣هـ/١١١٩م، وقتل الآلاف من الصليبيين، ولم يأخذ ايلغازي من غنائم النصر الكثيرة إلا اسلحة يهديها للملوك الاسلام^(٢)، فلقد كان ايلغازي الامير الذي نهض بحلب بعد ركود دام ستة وعشرين عاماً منذ ان حكمها رضوان بن تتش، وخلال تلك السنوات لم تكن لحلب مع الموصل علاقات ايجابية تذكر، وحتى بعد ان حكمها ايلغازي ايضاً لم تجرِ اية علاقات بينها وبين الموصل وفي اي مجال. وفي رمضان من العام ٥١٦هـ/تشرين الثاني ١١٢٢م، توفي ايلغازي قرب ميافارقين اثر مرض لحق به^(٣)، ثم توالى على حلب امراء من بني ارتق لم يكونوا ببسالة ايلغازي، حتى ان ابن العديم جعل ماتبقى من سنوات الحكم الارتقي لحلب وهي، ٥١٦-٥٢١هـ/١١٢٢-١١٢٧م، تحت عنوان "حلب في ايام بقية بني ارتق"، ولم يخصص، لكل امير عنوان لسنوات حكمه كما سبق مما يدل على انهم لم يقوموا باعمال مهمة في عهدهم^(٤).

رابعاً: الوحدة بين الموصل وحلب بعد عودة اق سنقر البرسقي لحكم الموصل.

وفي العام ٥١٨هـ/١١٢٤م، اعاد السلطان محمود آق سنقر البرسقي اميراً على الموصل وامره بجهاد الصليبيين، وفي تلك السنة كان عماد الدين زنكي قد أقطع البصرة

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ٢: ١٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ٢: ١٨٩-١٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ٢: ٢٠٦.

(٤) المصدر نفسه، ٢: ٢٠٧، ٢٣٩.

بعد ان كان شحنة فيها بامر السلطان محمود^(١)، بينما بقي الحال على ما هو عليه في حلب، وتعاقب عليها الحكام الاراتقة ولم يحدث اي اتصال بين المدينتين، الا انه في نفس العام ٥١٨هـ/١١٢٤م^(٢)، اذ كان حسام الدين تمرناش^(٣) اميرا على حلب، في ذلك العام قد تعرضت حلب الى التهديد الصليبي، نتيجة تمكن الصليبيين من احتلال مدينة صور^(٤)، وقويت همتهم وتوجهوا لاحتلال حلب، فاحس اهلها ان اميرهم تمرناش، لا قدرة له على مقاومة الصليبيين، وهو عاجز عن ذلك، فطلبوا النجدة من اق سنقر البرسقي امير الموصل، فلم يتردد ولبي طلبهم الا انه طلب من اهل حلب تسليمه قلعة حلب^(٥)، قبل ان يبادر بمهاجمة الصليبيين تحسبا لحاجته اليها في حال الانسحاب، فوافقوا، وتسلم نواب اق سنقر القلعة فلما سمع الصليبيون بقدومه هربوا، ودخل هو الى حلب، في نفس العام ٥١٨هـ/١١٢٤م، ورحب به اهلها، فاصبح اميرا للموصل وحلب^(٦)، وقد كان اق سنقر هو الرجل المناسب لمنصبه اميرا لحلب في تلك السنوات العصيبة التي مرت عليها، وقد وصف بالشجاعة والعدل، وانه هو الذي طرد الصليبيين عن حلب، وهو محل احترام الخلفاء والملوك^(٧)، فأصبحت بذلك علاقة جديدة وثيقة بين الموصل وحلب وصلت الى مستوى الوحدة، وان اول مظهر من مظاهر العلاقات السياسية بين الموصل وحلب في ذلك العصر هو امتلاك آق سنقر للموصل وحلب، وفي العام ٥١٩هـ/١١٢٥م اناب اق سنقر ابنه عزالدين مسعود، على حلب وعاد هو الى

(١) ابن الاثير، الكامل، ٩: ٢٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ٩: ٢٣٠.

(٣) حسام الدين تمرناش بن ايلغازي بن ارتق، نصب اميراً على حلب في نفس العام الذي امتلكها اق سنقر فيه، اي في العام ٥١٨هـ/١١٢٤م، ابن العديم، زبدة الحلب، ٢: ٢٢٢.

(٤) صور: وهي مدينة مشرفة على بحر الشام (البحر المتوسط)، افتتحها المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وبقيت في ايديهم حتى حاصرها الصليبيون واحتلوها، الحموي، معجم البلدان، ٥: ٣٩٨.

(٥) ابن الاثير، الكامل، ٩: ٢٣٠.

(٦) ابن العديم، زبدة الحلب، ٢: ٢٢٨.

(٧) المصدر نفسه، ٢: ٢٢٩؛ سبط ابن الجوزي، ١٩: ٤٥٥.

الموصل^(١)، وقد بقي اق سنقر في الموصل حتى يوم ٨ ذي القعدة من العام ٥٢٠هـ/ ٢٤ تشرين الثاني ١١٢٦م اذ انه قتل على يد الباطنية^(٢)، فاخلفه على الموصل من بعده ابنه عزالدين مسعود واقره السلطان محمود، الا ان عزالدين توفي بعد توليه الموصل بعام اي في العام ٥٢١هـ/ ١١٢٧م^(٣) وتسلم امارة الموصل في ربيع الاخر من السنة نفسها ٥٢١هـ/ نيسان ١١٢٧م عماد الدين زنكي بن اق سنقر الحاجب، بمشورة اعيان الموصل، وموافقة السلطان محمود^(٤)، ومنذ ذلك الحين بدأ عصر الاتابكية الزنكية في الموصل.

(١) ابن الاثير، الكامل ، ٩: ٢٣٤.

(٢) المصدر نفسه ، ٩: ٢٣٦ : ابن الاثير ، الباهر ، ص ٣١.

(٣) ابن الاثير، الكامل ، ٩: ٢٣٧.

(٤) المصدر نفسه ، ٩: ٢٣٧.